

قليلاً من الصمت والنأمل

أما ابتليت يوماً بثرثار يحكم عليك الحصار ثم يأخذ
يمطرك وابلاً من الكلام في أمور لا تخطر لك في بال ولا تهملك
بقليل أو كثير ؟ أما تمنيت لو تنشق الأرض فتبتلعك — أو
تبتلعك — لتنجو من ثرثرته ؟

أمّا أنا فقد عرفت رجلاً — هو اليوم في ذمة ربّه —
دعاه أحد الظرفاء « الهواء الأصفر » . وكان الناس في الواقع ،
يتهربون منه تهربهم من الهواء الأصفر . ذلك لأنه كان يملك
لساناً أشبه ما يكون بما تدعوه العامة « طرطاق الطاحون » .
وطرطاق الطاحون — إن كنت تجهله — كناية عن خشبة
تلامس بطرفها الأسفل حجر الرحي الأعلى فلا تنفك توتقص
وتتقطع ما دامت الرحي تدور .

لقد كنت أتعوّذ بالشيطان كلما التقيت « الهواء الأصفر »
على حين غرة . وكذلك كان يفعل جميع الذين عرفوه .
فقد كان لا يرضى عند اللقاء إلاّ بالمصافحة الأخويّة « الحارة » .
ولإّ بضغظ اليد وضغظاً شديداً لحدّ الألم . حتى إذا اطمأنّ
إلى أنّك أصبحت في قبضته الفولاذيّة راح يستفسر أولاً عن